ألفاظ الطبيعة في نهج البلاغة

دراسة في ضوء نظرية الحقول الدلالية

م. د. ميثاق علي عبد الزهرة الصيمري

مديرية تربية البصرة

Meathaq79@gmail.com

ملخص

إنّ دراسة الحقول الدلالية لنص ما واستكشاف معجمه الدلالي يعين القارئ على تصور رؤية المبدع والعالم الذي يعيشه والثقافة السائدة فيه وفهم توجهاته وآرائه ومواقفه، ولهذا فقد اتخذها كثير من الباحثين مجالا للتطبيق على بعض النصوص بوصفها تشكل ركيزة اساسية في دراسة المعنى.

ويسعى البحث من خلال دراسة الحقول الدلالية في نصوص نهج البلاغة الى تسليط الضوء على مفهوم من مفهومات المعجم الدلالي في نهج البلاغة وهو مفهوم الطبيعة، لأجل أن يخرج بصورة واضحة المعالم لما تنطوي عليه التجربة العلوية من أفكار في محاولةٍ لاكتشاف هذه التجربة الحيّة.

وقد خلص البحث الى أن الامام علي﵇ استعمل ألفاظ الطبيعة الجامدة كالهواء والماء والسماء والأرض ومتعلقاتها وألفاظ الطبيعة الحية كألفاظ الحيوان والنبات، مستفيدا مما تحمله من ايحاءات في ذهن المتلقي ليعبر عن فلسفته حول الحياة والعالم، فقد ساقها للدلالة على عظمة اللهّ تعالى و كمال قدرته و جلاله، وعظمة خلقه و بديع صنعه. وقد وظف الأمام ألفاظ الطبيعة بشكل فني بديع، فكان الكلام كله مشحوناً باستعارات جميلة على ألطف وجه و أرشق عبارة و أدق معنى و أحسن تعبير، فكانت تلك الألفاظ ومدلولاتها وسيلة ناجعةٌ للتأثير في المتلقي وتقريب المعنى الى ذهنه.

الكلمات المفتاحية: نهج البلاغة، الحقول الدلالية، ألفاظ الطبيعة، الطبيعة الجامدة، الطبيعة الحية

Nature's Terminology in Nahj al-Balagha: A Study in Light of Semantic Fields Theory

Dr. Meathaq Ali Abdulzahra

Al-Saimari Directorate of Education in Basra

Meathaq79@gmail.com

Abstract

Studying the semantic fields of a text and exploring its semantic lexicon helps the reader to envision the vision of the creator, the world in which he lives, and the prevailing culture in it, and understand his orientations, opinions, and positions, and for this reason many researchers have taken it as a field for application to some texts as they constitute a basic pillar in the study of meaning.

Through the study of semantic fields in the texts of Nahj al-Balaghah, the research seeks to shed light on one of the concepts of the semantic lexicon in Nahj al-Balaghah, which is the concept of nature, in order to come up with a clear cut of the ideas that the upper experience entails in an attempt to discover this living experience.

The research concluded that Imam Ali, peace be upon him, used inanimate words of nature such as air, water, sky, earth and its belongings, and words of living nature such as animal and plant expressions, taking advantage of the hints he carried in the mind of the recipient to express his philosophy about life and the world. And his majesty, the greatness of his creation, and the greatness of his making. The Imam employed the words of nature in a wonderful artistic way, so the whole speech was charged with beautiful metaphors on the sweetest face and the finest expression and the most accurate meaning and the best expression.

Keywords: Nahj al-Balaghah, semantic fields, natural expressions, rigid nature, living nature

المقدمة

يعد نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب منهلاً غزيرا للباحثين في مختلف المجالات لاسيما في المجال اللغوي؛ لما يحتويه من ثراء لفظي ودلالي يجعله في عداد النصوص الإبداعية الفريدة، التي يتوجه اليها الدارسون بالبحث والـدراسـة؛ لاكتشاف ما فيها من أسرار في الصياغة واختيار الكلمات جعلتها تتميز من غيرها من النصوص الابداعية، وهو ما لفت نظر الباحث في هذا البحث، فكان اختياره موضوعا للدراسة.

وقد كان لنهج البلاغة معجم دلالي يتوزع في حقول معرفية مختلفة، وهي صفة تعد إحدى مميزات هذا النص الابداعي، جعلت الباحث يفكر في تناول حقلا من حقول الدلالة في نهج البلاغة، فكان البحث بعنوان (ألفاظ الطبيعة في نهج البلاغة دراسة في ضوء نظرية الحقول الدلالية).

وقد كان البحث في مقدمة و مبحثين وخاتمة. كان المبحث الأول دراسة نظرية في نظرية الحقول الدلالية. وقد انتظم المبحث على توطئة حول نظرية الحقول الدلالية، ثم الكلام حول نشأة هذه النظرية عند الغرب، ثم الكلام على جذور هذه النظرية في التراث اللغوي العربي، وبعدها كان الكلام حول أهمية هذه النظرية في الدراسات اللغوية الحديثة.

وأما المبحث الثاني فكان دراسة تطبيقية في حقل الطبيعة في نهج البلاغة.

وقد ضمت الخاتمة أهم النتائج التي توصل اليها البحث.

أما المنهج الذي سار عليه البحث فهو المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك باستقراء النصوص التي حوت ألفاظ الطبيعة في نهج البلاغة وتحليل الفقرات التي حوت ألفاظ الطبيعة التي يتطلب الأمر تحليلها والوقوف على دلالاتها.

المبحث الأول: الدراسة النظرية

توطئة

مفهوم نظرية الحقول الدلالية

تعد الدلالة من أهم ما شغل الفكر الإنساني عبر التاريخ وفي مختلف الحضارات، اذ هي أساس التواصل والتفاهم بين أفراد المجتمعات البشرية، وأساس الرقي والازدهار. (ينظر: نظرية الحقول الدلالية: عمار شلواي، مجلة العلوم الانسانية. جامعة محمد خضير بسكرة. العدد الثاني: ٣٩).

وبسبب الأهمية التي احتلتها الدلالة تطورت الدراسات في هذا الميدان وكثرت المناهج والنظريات التي تهدف الى تحديد قوانين التفاهم وتسهيل إيصال الأفكار والمعاني، ومن بين تلك النظريات نظرية الحقول الدلالية، التي تنطلق من تصور عام مفاده أنّ اللغة لا تتكون من كلمات مبعثرة لا علاقة بينها، بل من كون اللغة بناء لنظام متجانس توجد فيه الكلمات على شكل مجموعات، يجمعها لفظ عام، تقوم كل مجموعة فيها بتغطية مجال مفاهيمي محدد يسمى (الحقل الدلالي). (ينظر: نظرية الحقول الدلالية بين التراث العربي والفكر اللساني المعاصر: باديس لوهميل، مجلة الممارسات اللغوية، ٢٠١٤م: ١٤٧، واللسانيات واللغة العربية: د. عبد القادر الفاسي الفهري: ٣٧٠).

وقد تأسّست نظرية الحقول الدلالية على فكرة المفاهيم العامة التي تؤلّف بين مفردات لغة ما(ينظر: الألسنية العربية: ٩٣)، ويكون ذلك بجمع الكلمات والمعاني المتقاربة، ذات الملامح الدلالية المشتركة، وجعلها تحت لفظ عام يجمعها و يضمّها، لذا يمكن تعريف الحقل الدلالي بأنّه «مجموعة الكلمات التي ترتبط دلالاتها وتوضع عادةً تحت لفظ عام يجمعها» (علم الدلالة: احمد مختار عمر: ٧٩، وينظر: معجم المصطلحات اللغوية والصوتية: د. خليل إبراهيم حماش: ٢٠٧).، وهو مجموعة من المفاهيم التي تبنى على علاقات لغوية مشتركة، تكون بنية من بنى النظام اللغوي (ينظر: مباحث في اللسانيات: أحمد حساني: ١٦١)، و مثال ذلك الألفاظ أبيض، أسود، أحمر، أخضر، أصفر... التي يجمعها مفهوم عام هو حقل الألوان، ومثال آخر هو الألفاظ: أب، أم، أخ، أخت، جد، جدة، عم، عمة، خال... التي يجمعها مفهوم عام هو حقل القرابة.

إنَّ جمع الكلمات في مجموعات يعد من سمات العقل الإنساني الذي بطبعه يميل نحو التصنيف والبحث عن العلاقة التي تكوّن أجزاء هذه المجموعة أو تلك حتى يتسنّى له فهمها ووضع قوانينها ثمّ الحكم عليها والاستنتاج. وبناءً على هذا اعتمد أصحاب نظرية الحقول الدلالية على الفكرة المنطقية التي ترى أنَّ المعاني لا توجد منعزلة في الذهن، ولإدراكها لابدّ من ربط كلّ معنى منها بمعنى أو بمعان أخرى، إذ الكلمة لا معنى لها بمفردها، بل إنَّ معناها يتحدّد ببحثها مع أقرب الكلمات إليها في إطار مجموعة واحدة، فلفظ إنسان مثلاً، لا يمكن فهمه إلاَّ بمقارنته بلفظ حيوان، ولفظ رجُل لا نعقله إلاَّ بإضافته إلى امرأة، ولفظ حار لا يفهم إلاَّ بمقارنته ببارد وهكذا، (ينظر: أصول تراثية في علم اللغة: ٢٩٤، و الألسنية العربية: د. ريمون طحان: ١٤، نظرية الحقول الدلالية والمعاجم المعنوية عند العرب: د. محمود جاد الرب، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد ٧١، ١٩٩٢م، ٢٢٨) فتكتسب الكلمة معناها من علاقاتها بالكلمات الأخرى، أي أنّ دلالة كلمة ما هي حاصل علاقاتها بالكلمات الأخرى داخل الحقل الدلالي الذي تنتمي اليه (ينظر: أصول تراثية في علم اللغة: د. كريم زكي حسام الدين: ٢٩٤، والكلمة دراسة في اللسانيات المقارنة: محمد الهادي عياد: ١٨٥، و ينظر: العربية وعلم اللغة الحديث د. محمد محمد داوود:١٨٦)، وقد عبّر عن ذلك «فندريس «بقوله:

«ليس في الذهن كلمة واحدة منعزلة، فالذهن يميل دائماً إلى جمع الكلمات، إلى اكتشاف عرى تجمع بينها. والكلمات تتشبث دائماً بعائلة لغوية بوساطة دال المعنى أو دوال النسبة التي تميزها «. (اللغة: فندريس: ٣٣٣).

وقد اهتم أصحاب نظرية الحقول الدلالية ببيان أنواع العلاقات الدلالية داخل كل حقل من الحقول المدروسة، وقد حصروا تلك العلاقات في الأنواع الآتية: الترادف، الاشتمال، علاقة الجزء بالكل، التضاد، التنافر، وليس من الضروري أن يشتمل كلُّ حقل على تلك العلاقات جميعاً، فقد تضمّ بعض الحقول كثيراً منها، بينما تقلّ في حقول أخرى. (ينظر: مبادئ اللسانيات: أحمد محمد قدور: ٣٠٥).

وقد لخص علماء الدلالة المبادئ الأساسية التي تقوم عليها نظرية الحقول الدلالية فيما يأتي:

١. إنَّ الوحدة المعجمية تنتمي إلى حقل واحد معيّن.

٢. كل الوحدات تنتمي إلى حقول تخصّها.

٣. لا يصح إغفال السياق الذي وردت فيه الوحدة اللغوية.

٤. لابد من مراعاة التركيب النحوي في دراسة مفردات الحقل. (ينظر: في علم الدلالة: محمد أسعد: ٤٧)

نشأة نظرية الحقول الدلالية عند الغرب

ظهرت أولى بوادر نظرية الحقول الدلالية على يد العالم السويسري فردينان دي سوسير، ويرجع الفضل إليه في جعلها مفهوما لغويا واضحا (ينظر: مبادئ في اللسانيات: خولة طالب الابراهيمي: ٢٢)، إذ عدّ اللغة نظاماً من العلامات ترتبط بعلاقة عضوية فيما بينها وكان هذا ابتكارا حديثا، وثورة لسانية قام بها «سوسير «على منهج دراسة اللغة وتحليل مكوّناتها، فقد رأي أنّ قيمة كلّ عنصر لا تتعلق بسبب طبيعته أو شكله الخاص بل بسبب موقعه وعلاقاته ضمن التركيب (ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية: محمد المبارك: ٣٠٧-٣٠٨)، وقد بيّن أنّه في نطاق اللغة الواحدة تحدّد الكلمات المعبّرة عن الأفكار المتقاربة فيما بينها انطلاقاً من القيمة التي تتضمنّها كلّ واحدة منها، فالمترادفات من قبيل (هاب، خشي، خاف) ليس لها قيمة خاصة بها إلاّ بتقابلها(ينظر: المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي: د. عز الدين إسماعيل: ٢٩٥)، فهي ترتبط دلالياً فيما بينها ولا نفهم الواحدة منها إلاّ بالنظر إلى دلالة الأخيرتين. (ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية: ٣٠٨، و ينظر: اللسانيات النشأة والتطور: أحمد مؤمن: ١٣٥)

وقد تطور هذا التصور على يد مجموعة باحثين من سويسرا و ألمانيا قاموا بمحاولات جادة ساهمت في نضوج نظرية علمية صارت تعرف اليوم بنظرية الحقول الدلالية، ويعدّ «ترايز «أوّل من ترك بصمته في دراسة الحقول الدلالية، ويعود إليه الفضل في تجميع الأفكار الخاصة بالحقول الدلالية، وقد قام بدراسة شهيرة تنسب إلى القطاع المفهومي، تناول فيها مفردات المعرفة أو الألفاظ الفكرية والذكاء في اللغة الألمانية الوسيطة، أي بين بداية القرن الثاني عشر ونهايته، وعلّل التغيّر الذي حدث في المجال المعرفي والمفهومي بين القرنين إلى التغيّرات

الاجتماعية والاقتصادية. (ينظر: اصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية: د. احمد عزوز: ٤٦، ٤٧) وعلى الرغم من أنَّ آراء «ترايز «عـدّت فتحاً جديداً في تاريخ علم الدلالة والتطبيق لنظرية الحقول الدلالية التي ازدهرت بعد ١٩٣١م، إلّا أن مبادئه وأفكاره نمت بفضل تلاميذه وتطوّرت على الخصوص على يد «فيسجربر «الذي صار فيما بعد «الممثل لحركة اللغة والمجتمع، المسؤولة على بعض المنشورات الأكثر أهمية في هذا الموضوع» (ينظر: نظرية الاكتمال اللغوي: د. أحمد طاهر حسنين:١٦٥)، وقد أقيمت أبحاث عديدة في الحقول الدلالية منذ عهد «ترايز» وبخاصة تلك التي أنجزّها «جورج ماطوري» وهي ذات طابع اجتماعي. (ينظر: وينظر: نظرية الاكتمال اللغوي: ١٦٤-١٦٦).

جذور نظرية الحقول الدلالية في التراث اللغوي العربي

فطن اللغويون العرب القدامى في وقت مبكر إلى فكرة الحقول الدلالية، وكـانـوا سباقين الى تصنيف المفردات حسب المعاني أو المفردات من خلال تأليفهم للرسائل الدلالية الصغيرة، التي ظهرت مع بداية التدوين، من ذلك رسائل متعددة اختصت بموضوع واحد، كالرسائل التي عنيت بالمفردات الدالة على خلق الانسان، أو الخيل (ينظر: مبادئ في اللسانيات: ٣٠٦)، ثم توجت هذه الجهود بتصنيف معاجم موضوعية أو معاجم المعاني منها كتاب فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي(ت٤٣٠هـ)، والمخصص لأبن سيدة (ت٤٥٨هـ) الذي يعد أوفى وأشمل معجم من معاجم المعاني (ينظر: الأساس في فقه اللغة وأرومتها: هادي نهر: ٢٦٧)، وكان الهدف من تلك المعاجم تعليمياً في معناه الواسع، إذ تعد أداة عملية تمد الكتّاب والشعراء بالكلمات التي يرونها أكثر ملاءمة من غيرها للبحث عن ضالتهم وعـرض أفكارهم في دقة وأناقة حول موضوع محدد. (ينظر: علم الدلالة: أحمد مختار عمر: ٨٥). وإذا كان مما يعاب على هذه الأعمال العربية عدم اتباع منهجية معينة في جمعها وعدم تصنيفها للموضوعات وإهمالها العلاقات بين الكلمات داخل الموضوع الواحد، وقصورها في حصر المفردات (ينظر: علم الدلالة: ١١٠)، فإنه لا يمكن أن نحكم على القدماء بمقاييس هذا العصر لأسباب أهمها تطور الزمان و توسع آفاق الدرس الدلالي وعمق تقنياته، وليس فيما سبق ضير يلحق بما قدمه اللغويون العرب الذين كانت لهم اليد الطولى في هذا الميدان (ينظر: مبادئ اللسانيات: ٣٠٦)، بل لا نجانب الحقيقة لو قلنا إنَّ العرب قد سبقوا الغرب بسنين طويلة في الوقوف على نظرية الحقول الدلالية والتأصيل لها.

أهمية نظرية الحقول الدلالية

جاءت نظرية الحقول الدلالية لتميط اللثام عن مجال مهم في ميدان الدراسات اللغوية الذي طالما أغفله المهتمون بالبحث الدلالي، فلا يخفى أنّ اللغة التي توفّرها النصوص على اختلاف أنواعها (نثر أو شعر) تتشكّل أساسا من ألفاظ أو كلمات، وهذه الأخيرة تأتي وفق تنوّع تشكّله بيئة

المؤلّف الثقافية والاجتماعية والإيديولوجية والنفسية، وهنا تأتي نظرية الحقول الدلالية لتقوم بتصنيف هذه الألفاظ أو الكلمات تحت عنوان يجمعها، فيعمد الدّارس إلى البحث عن الخلفيات الدلالية التي تقف وراء استعمال المؤلّف لتلك المجموعات، والخلفية الفكرية التي دعته لذلك الاستعمال (ينظر: معجم الحقول الدلالية في قصيدة «في أذن الشرق» للشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة: عمر بن زيادي، مجلة عود الند، مجلة ثقافية فصلية، ع ٨٥، ٢٠١٣م)، فإن الحقل لدلالي هو الشكل النهائي لما يتلفظ به المبدع، فلكل أديب حقله الـدلالي، و لكل خطاب معجمه الخاص به (ينظر: شعر المرقشين دراسة أسلوبية: خيرات حمد فلاح الرشود: ١٣٦)، فإنّ «العمل الابداعي بعد أن يتم تصوير المعنى في الذهن ينحصر في اكتشاف الألفاظ التي تلائمه ملاءمة جيدة، ومهما كانت طبيعة الموضوع فهو يصبح رهين اللغة، و رهين كل إسهام في استثمار الفكر بالكلمات» (الشعرية العربية: جمال الدين ابن الشيخ: ١٦١)، فإنّ الخطاب الأدبي يعتمد على معجم الأديـب الـذي يمثل خلاصة فكر تطور مع مرور الزمان، وحسب البيئة التي يعيش فيها، لذا فإنّ الاستعانة بالحقول الدلالية يبرز ملامح شخصية المبدع، والعوامل التي شكلت خطابه وأثرت فيه. كما أنّ دراسة الحقول الدلالية لنص ما واستكشاف معجمه الدلالي يعين القارئ على تصور رؤية المبدع والعالم الذي يعيشه والثقافة السائدة فيه وفهم توجهاته وآرائه ومواقفه (ينظر: الحقول الدلالية في الحماسة الشجرية، دراسة اسلوبية: د. عبد الفتاح داود، مجلة الجامعة الاسلامية للدراسات الانسانية، مجلد ٢٦، ع ١، ٢٠١٨م: ٨)، ولهذا فقد اتخذها كثير من الباحثين مجالا للتطبيق على بعض النصوص لأهميتها الكبيرة في دراسة المعنى.

إنّ تفرد الإمـام علي عليه السلام في أسلوبه في نهج البلاغة دعا كثيرا من الباحثين إلى العناية بهذا النص والانتهال من عطائه في كل الميادين. ولا شك ان هذا التفرد في الأسلوب ناتج عن تفرد في الفكر وهذا أمر يتفق عليه العقلاء؛ لأنّ الألفاظ هي أوعية للمعاني ومرآة عاكسة لما يحمله الإنسان من أفكار ومعاني يصبها في قوالب قولية تشكل جملا وفقرات، وقد اشتهر عن الإمام علي عليه السلام قوله: (تكلموا تعرفوا فان المرء مخبوء تحت لسانه)، إذ إنّ كلام الإنسان سواء كان منطوقا ام مكتوبا ما هو إلا نتاج ما يحمل من أفكار، فكل اسلوب هو صورة خاصة بصاحبه تبين طريقة تفكيره وكيفية نظره الى الاشياء وتفسيره لها. كما انّ مهارة المتكلم في اختيار الصيغ والأساليب في كلامه لينقله من الأسلوب الاعتيادي إلى الأسلوب الأدبي هذه المهارة إنما هي نتاج ما يملكه المتكلم من مقدرة عقلية وعلمية ومقدرة على صياغة اللغة وإعادة تشكيلها للتعبير عن أفكاره التي يروم ايصالها إلى المتلقي.

ويسعى البحث من دراسـة الحقول الدلالية في نصوص نهج البلاغة الى تسليط الضوء على مفهوم من مفهومات المعجم الـدلالي في نهج البلاغة وهو مفهوم الطبيعة، لأجل أن يخرج بصورة واضحة المعالم لما تنطوي عليه التجربة العلوية من أفكار في محاولةٍ لاكتشاف هذه التجربة الحيّة الغنية من خلال استنطاق مفردات النص والانفتاح على الدلالات التي يختزنها.

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية

حقل الطبيعة في نهج البلاغة

الطبيعة عند الفلاسفة: هي جملة الموجودات المادية بقوانينها (الطبيعة وما وراء الطبيعة: يوسف كرم: ١٤)، وهي في الفلسفة اليونانية تعني الوجود المطلق أو العالم أو الكون الشامل لجميع المخلوقات المادية مرتبطةً بقوانين وجدت بوجودة تتمثل في الأجرام السابحة فوق رؤوسنا والأجسام المضطربة من حولنا. (ينظر: المعجم الفلسفي: د. جميل صليبا: ٢/ ١٩) ويمكن تقسيم مفهوم الطبيعة على قسمين هما الطبيعة الجامدة والطبيعة الحية. وتعني الطبيعة الجامدة عناصر الطَّبِيعة وظواهرها المُختلفة فأما العناصر فتظمّ ما في السماء والأرض من مظاهر الطبيعة كالنجوم والكواكب والهواء والماء والجبال والصحارى والسهول، وامّا الظواهر فتظمّ الرياح والرعد والبرق والامطار والبحار والليل والنهار والأوقات وغيرها. وأما الطبيعة الحية فتضم كل ما له حياة على الأرض ويتسم بالحركة والنمو، سواء الحيوانات أم النباتات.

إنّ الطبيعة بكل مظاهرها كانت حاضرة في خطاب الإمام علي عليه السلام، وكان لها أثر كبير في تشكيله، فقد استعان الإمام بمفردات الطبيعة في توصيل مراداته بأسلوب يحمل قدرة تعبيرية في الكشف عن الدلالات وإحراز اكبر الأثر في مخاطبة الآخرين والوصول إلى أذهانهم ونفوسهم. ففي نهج البلاغة أنموذج رفيع للنص المتطابق الذي يجسد رؤية منتجه عن العالم الخارجي، في بيانية عالية في عرض الأفكار وإيصالها من خلال الاختيار الدقيق للألفاظ والعبارات، و الاستعمالات المجازية التي تتميز بالجدة والطرافة والتي تجعل المتلقي مشدودا اليها.

وسيعرض البحث لألفاظ الطبيعة في نهج البلاغة بشيء من البيان بإذن الله تعالى:

أولا: الطبيعة الجامدة

وردت ألفاظ الطبيعة الجامدة في مواضع متعددة في نهج البلاغة، وكان لها مساهمة فاعلة في صياغة وتشكيل خطابٍ يحمل رؤيةً واقعية عن العالم والكون، وقد زخرت نصوص نهج البلاغة بألفاظ الطبيعة الجامدة، لتعبّر عن رؤية الامام علي عليه السلام حول العالم والحياة، وسنذكر نماذج منها بإذنه تعالى:

١. الهواء ومتعلقاته

كان للهواء والرياح موقع وأهمية عند العرب وقد جعلوا لها أسماء مختلفة تبعا لجهة هبوبها، وموسم هبوبها، فمنها ما كانت مصدرا لسعادتهم وفرحهم؛ لأنها تأتيهم بالخير والبركة والخصب عندما تأتي بالمطر، وبعضها كانت مصدرا لحزنهم وتعاستهم؛ لأنها تجلب معها الجدب والقحط، وبسبب هذه الأهمية التي حظيت بها كان لها حضور في أشعار العرب وخطبهم. وقد كان لهذا الحقل حضور في نهج البلاغة، فقد استعمل الإمام علي عليه السلام ألفاظ الهواء ومتعلقاته في كلامه ووظفها بطريقة فنية تعبر عن مراداته.

ونجد ذلك في قول الإمام علي عليه السلام: ((ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ الْأَجْوَاءِ، وَ شَقَّ الْأَرْجَاءِ، وَ سَكَائِكَ الْهَوَاءِ، فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاطِماً تَيَّارُهُ، مُتَرَاكِماً زَخَّارُهُ. حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ، وَ الزَّعْزَعِ الْقَاصِفَةِ، فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ، وَ سَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ، وَ قَرَنَهَا إِلَى حَدِّهِ. الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ، وَ الْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ. ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا، وَ أَدَامَ مُرَبَّهَا، وَ أَعْصَفَ مَجْرَاهَا)) (نهج البلاغة: الشريف الرضي: ٤٠).

استعمل الإمام في هذا النص لفظ الهواء ومتعلقاته (فَتْقَ الْأَجْوَاءِ، وَ شَقَّ الْأَرْجَاءِ، وَ سَكَائِكَ الْهَوَاءِ، الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ، الزَّعْزَعِ الْقَاصِفَةِ، رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا) والأجواء جمع جو، وهو هنا الفضاء العالي و الأرجاء هي الجوانب واحدها رجا مثل عصا، و السكائك جمع سكاكة و هي أعلى الفضاء (ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١ / ٨٨)، وقد ذهب بعض شراح النهج الى أن هذه الكلمات الثلاث كلها تشير الى شيء واحد، و هو الفضاء و أيضا تشير الى ان لهذا الفضاء أبعادا ثلاثة: علوا، و اليه أومأ الإمام بالأجواء، و أطرافا، و هي مراده من الأرجاء، و طبقات، و عنها عبر الإمام بالسكائك (ينظر: في ظلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنية: ١/ ٣٦)، ونلاحظ أن الإمام عبر بصيغة الجمع بالأجواء و الأرجاء و السكائك، و لم يعبر عنها بالإفراد بالنظر الى تعدد طبقات الفضاء الكوني، و هذه الطبقات اكتشفت في العصر الحاضر بعد غزو الفضاء. و يطلق علماء الفلك على كل مجرة يعرفونها كلمة سكة (درب) بإضافة كلمة أخرى تميزها من غيرها من المجرات، ومنها مجرتنا التي يطلق عليها العلماء درب التبانة. وفي قوله «حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ، وَ الزَّعْزَعِ الْقَاصِفَةِ»، وصف الريح بثلاثة أوصاف، فهي «عاصفة زعزع» الشديدة الهبوب و كذلك «القاصفة» كأنها تهلك الناس بشدة هبوبها، وهذه الريح كانت وظيفتها حمل الماء الذي خلقه الله تعالى، وقد أعطاها جلت حكمته، قوةً عظيمة و جاذبية تستطيع معها أن تشد الماء اليها على ضخامته بحيث لا يسقط منه قطرة واحدة، فكان «الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ، وَ الْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ» و المعنى انه كان آنذاك فوق الريح ماء متدفق، و تحتها فضاءٌ خالٍ. وفي قول الامام عليه السلام «ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا، وَ أَدَامَ مُرَبَّهَا، وَ أَعْصَفَ مَجْرَاهَا» ذكر ريحا أخرى غير الريح الأولى، وهذه الريح لها أوصاف تختلف عن الريح الأولى فهي ريح «اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا، وَ أَدَامَ مُرَبَّهَا، وَ أَعْصَفَ مَجْرَاهَا» وهذه الأوصاف للريح إشارة الى قوتها وعظمتها وشدة هبوبها.

ومن ذلك قوله عليه السلام في صفة الارض: (.. وَ أَعَدَّ الْهَوَاءَ مُتَنَسَّماً لِسَاكِنِهَا، وَ أَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا) (نهج البلاغة: ١٣١). فالهواء فيه نفع عظيم للانسان و الحيوان، لأنّه من ضروريّات العيش لأنه مادّة النفس الذى لو انقطع ساعة عن الحيوان لمات، لذلك كان آية من آيات عظمة الله تعالى، ونعمة من نعمه الكبرى على الانسان.

ومن ذلك قوله عليه السلام: (لَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ

فَاطِرُ النَّخْلَةِ ... وَ كَذَلِكَ السَّمَاءُ وَ الْهَوَاءُ وَ الرِّيَاحُ..... فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدِّرَ وَ جَحَدَ الْمُدَبِّرَ) (نهج البلاغة: ٢٧٠). فالسماء والهواء والرياح كلها آيات ودلائل على عظيم قدرة الله تعالى لمن تدبر فيها.

ومنه قولهعليه السلام: (فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ، وَ أَعْمَلَ فِكْرَهُ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ، وَ كَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ، وَ كَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمَاوَاتِكَ، وَ كَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ الْمَاءِ أَرْضَكَ، رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيراً، وَ عَقْلُهُ مَبْهُوراً، وَ سَمْعُهُ وَالِهاً، وَ فِكْرُهُ حَائِراً) (نهج البلاغة:٢٢٤).

فقوله هذا دعوة الى التأمل والتدبر في خلق الله ومنه كيفية ارتفاع السماوات بغير عمد، والمراد بالهواء هنا الفضاء الذي يحتوي على الهواء، وهو يوافق ما توصل اليه العلم الحديث من أن الفضاء ليس عدما وفراغا وانما هو عبارة عن غازات متطايرة.

ومن النصوص اعلاه نجد أنّ الامام استعمل لفظ الهواء والرياح للدلالة على قدرة الله تعالى وعظيم صنعه، وهي دعوة منهعليه السلام للتدبر والتفكر في بديع خلقه تعالى وعظيم صنعه.

٢. الماء ومتعلقاته

كان العرب في تاريخهم الطويل ينظرون الى الماء نظرة تقديس؛ لأنه مورد الخصب والنماء وواهب البركة والخير، لهذا قد حضي الماء باهتمام العرب وحرصهم الشديد على المحافظة عليه، لما له من أثر على حياتهم وسعة عيشهم، وقد دفعهم ذلك إلى الاهتمام بالمطر والسحاب وما يتعلق بهما من برق ورعد، كما عرف عن العرب في الجاهلية كثرة سفرهم وترحالهم بحثاً عن الماء والكلأ، وكانوا يحطون عصا ترحالهم متى ما وجدوا مصادر المياه من آبار وعيون وينابيع، وعند جفافها يرتحلون إلى غيرها، وهكذا يستمرون بالتنقل والارتحال من مكان إلى آخر (ينظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي: د. نوري حمودي القيسي:٤١، ٥٨ وما بعدها)، وقد أدى اهتمام العرب بالمياه ومصادرها الى أن امتلأت كتبهم و أشعارهم بذكر ألفاظ الماء ومتعلقاته.

وقد زخر نهج البلاغة بألفاظ الماء ومتعلقاته ومن ذلك قول الإمامعليه السلام: (ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ الْأَجْوَاءِ،.. فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاطِماً تَيَّارُهُ، مُتَرَاكِماً زَخَّارُهُ. حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ،.. الْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ. ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا،.... فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ، وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ،.. تَرُدُّ أَوَّلَهُ إِلَى آخِرِهِ، وَسَاجِيَهُ إِلَى مَائِرِهِ، حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ، وَرَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ) (نهج البلاغة: ٤٠).

استعمل الامامعليه السلام لفظ الماء ومتعلقاته في هذا النص فجاء بالألفاظ (مَاءً مُتَلَاطِماً تَيَّارُهُ، مُتَرَاكِماً زَخَّارُهُ)، (الْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ)،(الْمَاءِ الزَّخَّارِ)، وَ(إِثَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ)، (عَبَّ عُبَابُهُ)، (رَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ) فوصف الماء بأن له تيارا متلاطما كناية عن شدة هيجانه، ووصفه بأنه متراكم زخاره أي قد كثر ماؤه وارتفعت أمواجه، كما وصف الماء بأنه دفيق من فوق الريح، أي متدفق وهي تحمله على ما فيه من ثقل، وهي آية من آيات الله تعالى. وعند التأمل في قوله «ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا،.... فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ

الزَّخَّارِ، وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ.. تَرُدُّ أَوَّلَهُ إِلَى آخِرِهِ، وَسَاجِيَهُ إِلَى مَائِرِهِ، حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ، وَرَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ» ترتسم في أذهانا صورة مسموعة تنقل لنا هيجان ذلك الماء بأمواجه المرتفعة الهائجة التي تصطفق بسبب الرياح التي حركته فمخضته كما يحصل للبن في السقاء، حتى ارتفع وتراكم بعضه فوق بعض.

ومن ذلك قوله﵇: (كَبَسَ الْأَرْضَ عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ، وَ لُجَجِ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ، تَلْتَطِمُ أَوَاذِيُّ أَمْوَاجِهَا، وَ تَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِهَا، وَ تَرْغُو زَبَداً كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا، فَخَضَعَ جِمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا،...، فَأَصْبَحَ بَعْدَ اصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ، سَاجِياً مَقْهُوراً، وَ فِي حَكَمَةِ الذُّلِّ مُنْقَاداً أَسِيراً، وَ سَكَنَتِ الْأَرْضُ مَدْحُوَّةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ،.... فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا،...، فَجَّرَ يَنَابِيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أُنُوفِهَا، ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ الْأَرْضِ الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا، وَ لَا تَجِدُ جَدَاوِلُ الْأَنْهَارِ ذَرِيعَةً إِلَى بُلُوغِهَا، حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةَ سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتَهَا، وَ تَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا. أَلَّفَ غَمَامَهَا بَعْدَ افْتِرَاقِ لُمَعِهِ، وَ تَبَايُنِ قَزَعِهِ، حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ الْمُزْنِ فِيهِ، وَ الْتَمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفَفِهِ، وَ لَمْ يَنَمْ وَمِيضُهُ فِي كَنَهْوَرِ رَبَابِهِ، وَ مُتَرَاكِمِ سَحَابِهِ، أَرْسَلَهُ سَحّاً مُتَدَارِكاً) (نهج البلاغة: ١٣١).

في هذا النص وردت الألفاظ (أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ)، وَ (لُجَجِ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ)، (تَلْتَطِمُ أَوَاذِيُّ أَمْوَاجِهَا)، وَ (تَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِهَا)، (وَ تَرْغُو زَبَداً)، (فَخَضَعَ جِمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلَاطِمِ)، (اصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ)، (لُجَّةِ تَيَّارِهِ)، (هَيْجُ الْمَاءِ)، (فَجَّرَ يَنَابِيعَ الْعُيُونِ)، (مِيَاهُ الْعُيُونِ)، (جَدَاوِلُ الْأَنْهَارِ)، (سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتَهَا)، (أَلَّفَ غَمَامَهَا بَعْدَ افْتِرَاقِ لُمَعِهِ)، (لُجَّةُ الْمُزْنِ)، (وَ الْتَمَعَ بَرْقُهُ)،(لَمْ يَنَمْ وَمِيضُهُ)، (مُتَرَاكِمِ سَحَابِهِ)، (سَحّاً مُتَدَارِكاً).

(استفحَل أَمر العدوّ إِذا قوِي و اشتدّ، فهو مستفحِل. ينظر: لسان العرب:١١/ ٥١٦ مادة (فحل)، لُجَّةُ البَحْر: حيث لا يُـدْرَكُ قَعْرُه. ولُجَّةُ الماءِ، مُعْظَمُه، المصدر نفسه: ٢/ ٣٥٣ (لجج). زَخَرَ البَحْرُ أَي مَدَّ و كَثُرَ ماؤُه و ارتفعت أَمواجه. المصدر نفسه: ٤ / ٣٢٠، مادة (زخر). الآذيُّ، بالمد و التشديد: المَوْجُ الشديد. المصدر نفسه: ١٤/ ٢٧، مادة (أذي). الثَّبَجُ: عُلُوُّ وسط البحر إِذا تلاقت أَمواجه. المصدر نفسه: ٢/ ٢١٩، مادة (ثبج). سَجا البحرُ وأَسْجى إِذا سكَنَ تموُّجُه. المصدر نفسه: ١٤/ ٣٧١، مادة (سجا). لَمَعَ البرْقُ يَلْمَعُ لُمعاً ولَمَعاناً إِذا أَضاءَ. المصدر نفسه: ٨/ ٣٢٤، مادة (لمع). سَحَّ الماءُ: مَرَّ على وجه الأَرض. و سَحَّ الماءَ: صَبَّه صَبّاً متتابعاً كثيرا. المصدر نفسه: ٢/ ٤٧٦، مادة (سحح).

في قوله﵇ «أَمْـوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ» وصف الامام الأمواج بالاستفحال لشدّتها أو لهيجانها «ولجج بحار زاخرة» وصف لجج البحار بأنها كثيرٌ ماؤها مرتفعة أمواجها «تلتطم أو اذي أمواجها» أي تضرب شدايد أمواجها بعضها بعضا «و تصطفق متقاذفات أثباجها» عندما تصطدم تلك الأمواج العالية ببعضها تحدث صوتا عظيما «و ترغو زبدا كالفحول عند هياجها» أي تصوّت قاذفة زبدا عند اضطرابه و غليانه كالفحول الهائجة «فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها» فذل وسكن الماء المتلاطم بعد جماحه، وقد استعار الامام

لفظ الجماح لهيجان الماء واضطرابه تشبيها له بالفرس الذي يجمح بصاحبه(ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: الخوئي: ٧/ ٩) وقوله «فلما سكن هيج الماء من تحت أكنافها" يعنى لما سكن ثورانه وتقاذفه من أطراف الأرض و جوانبه «فجر ينابيع العيون» لعله عليه السّلام اعتبر في الينبوع الجريان بالفعل، و انما خصّ الجبال بتفجّر العيون فيها؛ لأنّ العيون اكثر ما تتفجّر من الجبال و الأماكن المرتفعة، «ثمّ لم يدع جرز الأرض التي» لا نبات بها و لا ماء من حيث إنها «تقصر مياه العيون عن» سقى «روابيها» و مرتفعاتها «و لا تجد جداول الأنهار ذريعة» و وسيلة «الى بلوغها» و الوصول إليها «حتى أنشأ لها ناشئة سحاب تحيى مواتها» من باب المجاز في الاسناد «وتستخرج نباتها»؛ لأنّ المحيي و المخرج هو اللهّ سبحانه، و السحاب سبب، قال اللهّ تعالى: ﴿وَ اللهُّ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ النحل/ ٦٥، «الّف» تعالى «غمامها» و المراد أنه سبحانه ركب السحاب المعدّة لسقي الأرض «بعد افتراق لمعه و تباين قزعه» أي بعد ما كانت أجزؤها اللّامعة متفرّقة و قطعاتها متباينة متباعدة «حتى اذا تمخضت لجّة المزن فيه» أي حتى اذا تحرّكت اللجّة أي معظم الماء المستودع في الغيم و استعدّت للنّزول «و التمع برقه في كفقه» أي أضاء البرق في جوانبه و حواشيه «لم ينم و ميضه» أي لم ينقطع لمعان البرق «في كنهور ربابه» أي فى القطع العظيمة من سحابه البيض «و متراكم سحابه» أي المجتمع الذى ركب بعضه بعضا «أرسله» سبحانه «سحّا متداركا» أي يصبّ الماء صبّا متلاحقا (ينظر: المصدر نفسه: ٧/ ١٤، ١٣).

ومن ذلك قوله عليه السلام: (وَ كَانَ مِنِ اقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ، وَ بَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ، أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّاخِرِ الْمُتَرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ، يَبَساً جَامِداً، ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقاً، فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْدَ ارْتِتَاقِهَا،.. وَ أَرْسَى أَرْضاً يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ الْمُثْعَنْجِرُ وَالْقَمْقَامُ الْمُسَخَّرُ، قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ وَ أَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ، و وَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ وَجَبَلَ جَلَامِيدَهَا، وَنُشُوزَ مُتُونِهَا، وَ أَطْوَادِهَا،.... فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا، وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا، فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَاداً، وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً فَوْقَ بَحْرٍ لُجِّيٍّ رَاكِدٍ لَا يَجْرِي، وَقَائِمٍ لَايَسْرِي، تُكَرْكِرُهُ الرِّيَاحُ الْعَوَاصِفُ، وَتَمْخُضُهُ الْغَمَامُ الذَّوَارِفُ، إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشى). (نهج البلاغة: ٣٢٨) ورد في هذا النص الألفاظ (مَاءِ الْبَحْرِ الزَّاخِرِ الْمُتَرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ)، (الْأَخْضَرُ الْمُثْعَنْجِرُ)، (الْقَمْقَامُ الْمُسَخَّرُ)، و (مَوَجَانِ مِيَاهِهَا)، و (رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا)، و(بَحْرٍ لُجِّيٍّ)، و(الْغَمَامُ الذَّوَارِفُ).

الْمُثْعَنْجِرُ:السيل الكثير. وُالْمُثْعَنْجِرُ: هو أكثر موضع في البحر ماء. لسان العرب: ٤/ ١٠٣، مادة (ثعجر)، القَمْقامُ: هو البحر. المصدر نفسه: ١٢/ ٤٩٣، مادة (قمم).

هذا النص مسوق لإظهار عظمة اللهّ تعالى و كمال قدرته و جلاله وبديع صنعه، ومن ذلك «أن جعل» أي خلق «من ماء البحر الزاخر» المرتفع المتلئ الممتدّ «المتراكم المتقاصف» أي الّذى اجتمع بعضه فوق بعض

وتزاحمت أمواجه و اشتدّ صوته الهائل من كثرة الأمواج «يبسا جامدا» أراد به سطح الأرض، «ثمّ فطر منه» أي خلق من الماء أي من بخاره و دخانه «أطباقا» أي طبقا فوق طبق «ففتقها سبع سماوات بعد ارتتاقها» يريد أنّها كانت طبقات منفصلة في الحقيقة متّصلة في الصورة بعضها فوق بعض ففتقها وفرّقها وباعد بعضها عن بعض فحصل سبع سماوات متميّزات وهو قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَ فَلا يُؤْمِنُونَ﴾ الانبياء/ ٣٠، «يحملها الأخضر المثعنجر» أي يحمل الأرض ماء البحر السائل، و وصف الماء بالخضرة من عادة العرب و التعبير عن البحر بالأخضر لأنّه بصفة لون السّماء فيرى أخضر «و القمقام المسخّر» أي البحر الّذى سخّره اللّه تعالى أي ذللة لحملها كما أشار إليه بقوله «قد ذلّ» و انقاد «لأمره «عزّ و جلّ «و أذعن» و خضع «لهيبته» و جلاله «و وقف الجاري منه لخشيته» أي وقف السائل بالطبع فوقوفه عدم جريانه طبعا بارادته سبحانه. «فسبحان من أمسكها» أي الأرض بقدرته «بعد موجان مياهها» بسبب الماء الذي كان غامرا للأرض «و أجمدها بعد رطوبة اكنافها» أي جوانبها لميدانها «فجعلها لخلقه مهادا فوق بحر لجّى» كثير الماء «راكد لا يجري» اى ساكن لا يجري إلى أحد الجوانب «و قائم» أي ثابت «لا يسري» عن مكانه «تكركره» أي تردّده و تكرّره «الرّياح العواصف» الشّديدة «و تمخضه الغمام الذّوارف» أي تحرّكه السّحاب المواطر؛ لأنّ البحر إذا وقع فيه المطر يرتجّ و يتمخّض و يضطرب كثيرا «إنّ فى ذلك لعبرة لمن يخشى» أي فيما تقدّم من آثار القدرة و دلائل العظمة اعتبار لمن خشى ربّه. (ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٧٠-٧٣) ومن ذلك قولهعليه السلام: (فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ.. مَا يَتَجَلْجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ، وَ مَا تَلَاشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ، وَ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ وَ انْهِطَالُ السَّمَاءِ وَ يَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ وَ مَقَرَّهَا). (نهج البلاغة: ٢٦٠) جاء في هذا النص الكلمات «تجلجل الرعد»، و «بروق الغمام»، و «عواصف الأنواء»، و «انهطال السماء»، و «مسقط القطرة» وكلها ألفاظ لها علاقة وثيقة بالماء.

(الجَلْجَلة: صوت الرعد و ما أشبهه. لسان العرب: ١١/ ١١٦ مادة (جلل)).

وفي قوله «مَا يَتَجَلْجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ» وصف الرّعد بالتجلجل وهو ذلك الصوت المدوي الذي يسمع عند حدوث البرق في الغيوم، «ومَا تَلَاشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ» أي الاماكن التي يضمحلّ عنها البرق بعد ما كانت مضيئة به. وقوله «انْهِطَالُ السَّمَاءِ» يريد به نزول المطر من السماء، وقوله» مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ وَ مَقَرَّهَا «يعني محلّ سقوطها و موضع قرارها.

في النصوص السابقة استعمل الإمامعليه السلام ألفاظ الماء و متعلقاته ووظفها بشكل فني بديع، فكان الكلام كله مشحوناً باستعارات جميلة على ألطف وجه و أرشق عبارة و أدق معنى و أحسن مقصد. وقد وظف الامامعليه السلام هذه الألفاظ ليثير في ذهن المتلقي ما يدعو الى العجب، فينزه الله تعالى عن شبه المخلوقين، ويبين قدرته القاهرة الغالبة و دقة صنعه التي ينفرد بها.

٣.السماء و متعلقاتها

وجد الإنسان العربي في السماء منذ القدم مرتعا لخياله الخصب ومقيلا لأفكاره، كما حظيت بعض نجوم السماء وألفاظها بمكانة أكبر من غيرها، فبعضها كانت بنظرهم ذات طالع سعيد وبعضها نحساً، وغير ذلك من التصورات الخرافية، كما أنّها كانت موضعَ اهتمامهم؛ لأنها تقودهم الى مواضع حاجاتهم (ينظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي: ٦٤، وألفاظ الطبيعة في ديوان كثير عزة دراسة لغوية: سلمان ياسين عباس: ٨٣)، غير أن مجيء الإسلام غيّر كثيراً من تلك المفاهيم البدائية التي كانت تسيطر على ذهنية العربي، وأتى بمفاهيم جديدة من خلال الآيات القرآنية التي تحدثت عن السماء والأفلاك والنجوم والشمس والقمر، وصار لهذه المفاهيم ارتباط بكثير من العبادات ومنها فريضة الصلاة وفريضة الصوم وفريضة الحج، لارتباطها بأزمان محددة، تتوقف على المعرفة بحركة الشمس والقمر.

وقد كان للسماء ومتعلقاتها حضورٌ واضح في نهج البلاغة، إذ عمد الإمام علي﵇ إلى توظيف هذا الحقل في بيان رؤيته الكونية والأفكار التي كان يؤمن بها، بطريقة فنية تؤثر في المتلقي.

ومن النصوص التي ورد فيها ألفاظ السماء ومتعلقاتها قول الامام علي﵇: (لَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ ... وَ كَذَلِكَ السَّمَاءُ وَ الْهَوَاءُ، وَ الرِّيَاحُ وَ الْمَاءُ. فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ،.. وَ اخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ،.. فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدِّرَ، وَ جَحَدَ الْمُدَبِّرَ). (نهج البلاغة: ٢٧١) استعمل الامام في هذا النص الألفاظ (السَّمَاءُ)، و(الشَّمْسِ)، وَ (الْقَمَرِ)، و(اللَّيْلِ)، و(النَّهَارِ).

وقد جاء بها لبيان قدرة الله تعالى وجميل صنعه، فالسماء و ما فيها.. و كذلك الشمس و حرارتها و منافعها و القمر و نوره و ما فيه من فوائد.. و اختلاف هذا الليل الذي فيه راحة وجمام، و النهار الذي هو زمان الحركة والنشاط، هذه الأمور كلها تدل على أنه واحد و إنه الموجد لها و المبدع.

ومن ذلك قوله﵇: (فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ بِلَا عَمَدٍ، قَائِمَاتٍ بِلَا سَنَدٍ، دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ، غَيْرَ مُتَلَكِّئَاتٍ وَ لَا مُبْطِئَاتٍ... جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلَاماً يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانُ فِي مُخْتَلِفِ فِجَاجِ الْأَقْطَارِ. لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا ادْلِهْمَامُ سُجُفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَ لَا اسْتَطَاعَتْ جَلَابِيبُ سَوَادِ الْحَنَادِسِ أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ تَلَأْلُؤِ نُورِ الْقَمَرِ. فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقٍ دَاجٍ، وَ لَا لَيْلٍ سَاجٍ..).(نهج البلاغة: ٢٦٠) جاء في هذا النص الألفاظ (السَّمَاوَات)، (نُجُومَهَا)، (ضَوْءَ نُورِهَا)، (اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ)، (سَوَادِ الْحَنَادِسِ)، (نُورِ الْقَمَرِ)، (سَوَادُ غَسَقٍ دَاجٍ)، (لَيْلٍ سَاجٍ).

(ادْلَهَمَّ الليلُ و الظلام: كَثُفَ و اسْودّ. لسان العرب:١٢/ ٢٠٦ ، مادة (دلهم). السَّجْفُ: السِّتْر. المصدر نفسه: ٩/ ١٤٤، مادة (سجف)).

في قوله «فمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ بِلَا عَمَدٍ، قَائِمَاتٍ بِلَا سَنَدٍ» ذكر السماوات كشاهد على

وجود الله و عظمته، فقد خلقها اللهّ تعالى محكمات مثبتات في محلها على وفق النظام العام، و إنها رفعت بغير عمد و لا سند يسندها عن الوقوع و السقوط، قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها﴾ لقمان/ ١٠. «دعاهنّ» سبحانه «فأجبن طائعات» كما قال في الذكر الحكيم حكاية عنها و عن الأرض: ﴿فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ﴾ فصلت / ١١ و لفظ الدّعاء و الاجابة في كلام الامام محمولان على المجاز بالاستعارة تشبيها لتأثير قدرته تعالى فيها و تأثّرها عنها بأمر المطاع و إجابة المطيع الطائع كقوله: كُنْ فَيَكُونُ، و يؤيّده ما حكي عن ابن عباس في تفسير الاية المتقدّمة أعني قوله: أَتَيْنا طائِعِينَ، أنه قال أتت السماء بما فيها من الشمس و القمر و النجوم، و أتت الأرض بما فيها من الأنهار و الأشجار و الثمار، و ليس هناك أمر ما بقول حقيقة و لا جواب لذلك القول. و من ذلك علم أنّ قوله: «مذعنات غير متلكّئات و لا مبطئات» أراد به انقيادهنّ من غير توقّف و لا إبطاء. ثم ذكر النجوم و الكواكب لما فيها من بدائع التدبير و عجائب التقدير فقال: «جعل نجومها أعلاما يستدلّ بها الحيران» أي جعلها علامات يهتدي بها المتحيّرون كما قال عزّ من قائل: ﴿وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ النحل/ ١٦، «في مختلف فجاج الأقطار» أي يستدلّ بها الحيارى في اختلاف فجاج الأقطار، «لم يمنع ضوء نورها ادلهام سجف الليل المظلم» أي شدّة ظلمة ستر اللّيل ذي الظلمة لم تكن مانعة من إضاءة النجوم، «و لا استطاعت جلابيب سواد الحنادس» أي أثواب سواد الليال المظلمة شديدة الظلمة لم تكن مستطيعة من «أن تردّ ما شاع» و ظهر «في السماوات من تلألؤ نور القمر» و لمعانه. «فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج» أي ظلمة مظلمة «و لا ليل ساج» أي ساكن و في الاسناد توسّع باعتبار سكون الناس و هدوؤهم فيها.(ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٠/ ٣٠٨-٣١٠) ومن ذلك قوله﵇: (الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِماً دَائِماً إِذْ لَا سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، وَ لَا حُجُبٌ ذَاتُ إِرْتَاجٍ، وَ لَا لَيْلٌ دَاجٍ،... ذَلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ وَ وَارِثُهُ، وَ إِلَهُ الْخَلْقِ وَ رَازِقُهُ، وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ: يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ، وَ يُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ). (نهج البلاغة: ١٢٢) نلحظ في هذا النص الألفاظ (سَمَاءٌ)، و(أَبْرَاجٍ)، و(حُجُبٌ)، و(لَيْلٌ دَاجٍ)، و(الشَّمْسُ)، و(الْقَمَرُ).

(دَجا الليلُ إذا تَمَّتْ ظُلْمَته و أَلْبس كلَّ شيء. لسان العرب: ١٤/ ٢٤٩، مادة (دجا)) ومن ذلك قوله﵇: (يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ، وَ تَعْقُبُهُ الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ فِي الْأُفُولِ وَ الْكُرُورِ، وَ تَقَلُّبِ الْأَزْمِنَةِ وَ الدُّهُورِ، مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ، وَ إِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ).(نهج البلاغة: ٢٣٢)فقد ورد في هذا النص الألفاظ (الْقَمَر) و (الشَّمْسُ) و (لَيْلٍ) و (نَهَارٍ).

ومن ذلك قوله﵇ (اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ، وَ الْجَوِّ الْمَكْفُوفِ، الَّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضاً لِلَّيْلِ وَ النَّهَارِ، وَ مَجْرًى لِلشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ، وَ مُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ).(نهج البلاغة: ٢٤٥) جاءت الألفاظ (السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ)، (الْجَوِّ الْمَكْفُوفِ)، (اللَّيْلِ)، (النَّهَارِ)، (لِلشَّمْسِ)، (الْقَمَرِ)، (النُّجُومِ).

في قوله «أللّهمّ ربّ السقف المرفوع» أراد بالسقف السّماء، و إطلاق السقف عليها من باب الاستعارة تشبيها لها بسقف البيت في الارتفاع و الاحاطة «و الجوّ المكفوف» أي الفضاء الذي كفّها بقدرته و جعله محلّا لسماواته و أرضه، «الذي جعلته مغيضا للّيل و النهار» أي أنّه محلّ لنقصان كلّ منهما مع زيادة الاخر، يقول تعالى: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَ يُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ الزمر/ ٥، و قوله: «وَمَجْرًى لِلشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ، وَ مُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ «أي محلًّا لجريان الشمس والقمر ولاختلاف النجوم. (ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٠/ ١٢٢- ١٢٤) ومن ذلك قولهؑ في صفة السماء: (وَ نَظَمَ بِلَا تَعْلِيقٍ رَهَوَاتِ فُرُجِهَا وَ لَاحَمَ صُدُوعَ انْفِرَاجِهَا.....، وَ نَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا، وَ فَتَقَ بَعْدَ الِارْتِتَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا، وَ أَقَامَ رَصَداً مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ عَلَى نِقَابِهَا، وَ أَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ، وَ أَمْرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ، وَ جَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا، وَ قَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا، وَ أَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا، وَ قَدَّرَ سَيْرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا، لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ بِهِمَا، وَ لِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ وَ الْحِسَابِ بِمَقَادِيرِهِمَا، ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوِّهَا فَلَكَهَا وَ نَاطَ بِهَا زِينَتَهَا، مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا وَ مَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا، وَ رَمَى مُسْتَرِقِي السَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا).(نهج البلاغة: ١٢٧) وردت في هذا النص الألفاظ: (رَهَوَاتِ فُرُجِهَا)، (صُدُوعَ انْفِرَاجِهَا)، (الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ)، (شَمْسَهَا)، (لِنَهَارِهَا)، (وَ قَمَرَهَا)، (لَيْلِهَا)، (مَدَارِجِ)، (اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ)، (فَلَكَهَا)، (كَوَاكِبِهَا)، (بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا)، (خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا).

أرادؑ بقوله «و نظم بلا تعليق رهوات فرجها» أنه جمع و ألف أجزاء السماء المنفرجة المتصفة بالارتفاع و الانخفاض فسوّاها بقدرته الكاملة من غير أن يعلّق بعضها ببعض «و لاحم صدوع انفراجها» هذا العطف بمنزلة التفسير و التّوكيد للجملة السابقة أي الصق أجزائها ذوات الصدوع بعضها ببعض، «و ناداها بعد إذ هي دخان فالتحمت عرى أشراجها» المراد بندائها حكمه و أمره التكويني النافذ فيها بالوجود و بالتحام عرى أشراجها تمام خلقها، «و فتق بعد الارتتاق صوامت أبوابها» و هو كناية عن ايجاد الأبواب فيها و خرقها بعد ما كانت رتقا لا باب فيها، و هذه الأبواب هي التي منها عروج الملائكة و هبوطها و صعود أعمال العباد و أدعيتهم و أرواحهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ﴾ الأعراف/ ٤٠، أو التي تنزل منها الأمطار كما أشار إليه بقوله: ﴿فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ القمر/ ١١. «و أقام رصدا من الشهب الثواقب على نقابها» و مراده عليه السّلام بنقابها طرائقها، «و أمسكها من أن تمور في خرق الهواء بأيده» أي أمسكها بقدرته و قوّته من الحركة و الاضطراب في الهواء، «و أمرها أن تقف مستسلمة لأمره» أي أمرها بالوقوف و القيام و أراد منها ذلك منقادة لإرادته كما قال تعالى: ﴿وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ الروم/ ٢٥، «و جعل شمسها آية مبصرة لنهارها، و قمرها آية ممحوّة من ليلها» هو قوله سبحانه: ﴿وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ

وَ جَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً﴾ الاسراء/ ١٢ . (ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٦/ ٣٤٨-٣٥٣).

٤ .الأرض ومتعلقاتها

تحتل الأرض وما يتعلق بها من جبال وسهول ووديان مساحة كبيرة من حياة الانسان العربي، للعلاقة الوثيقة التي تربطه بها؛ لأنها تمثل البيئة التي نشأ فيها، فكانت له معها علاقة خاصة وذكريات جميلة اختزنت في ذاكرته، فكانت جزءً من شخصيته؛ لذا نجدها قد حازت المساحة الأوسع من اهتمام الشعراء، سواء عند حديثهم عن الأطلال أو عند حديثهم عن الغربة والحنين أو عبر الفخر أو المدح أو الهجاء.

وقد كان للأرض و متعلقاتها حضور في نهج البلاغة، فقد استعملها الإمام علي مستفيدا مما تحمله من ايحاءات في ذهن المتلقي ليعبر عن فلسفته حول الحياة والعالم. ومن ذلك قوله عليه السلام: (كَبَسَ الْأَرْضَ عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ... فَخَضَعَ جِمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا..وسَكَنَتِ الْأَرْضُ مَدْحُوَّةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ، وَ رَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ وَ اعْتِلَائِهِ.. فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا، وَ حَمْلِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ الْبُذَّخِ عَلَى أَكْتَافِهَا، فَجَّرَ يَنَابِيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أُنُوفِهَا، وَ فَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ بِيدِهَا وَ أَخَادِيدِهَا، وَعَدَّلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا، وَ ذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ الشُّمِّ مِنْ صَيَاخِيدِهَا، فَسَكَنَتْ مِنَ الْمَيَدَانِ لِرُسُوبِ الْجِبَالِ فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا، وَ تَغَلْغُلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جَوْبَاتِ خَيَاشِيمِهَا، وَ رُكُوبِهَا أَعْنَاقَ سُهُولِ الْأَرَضِينَ وَ جَرَاثِيمِهَا).(نهج البلاغة: ١٣١) فقد وردت في النص الألفاظ: (الْأَرْضَ)، (الْجِبَالِ)، (سُهُوبِ بِيدِهَا)، (أَخَادِيدِهَا)، (جَلَامِيدِهَا)، (الشَّنَاخِيبِ)، (صَيَاخِيدِهَا)، (جَوْبَاتِ خَيَاشِيمِهَا) (سُهُولِ الْأَرَضِينَ) للاشارة إلى قدرته سبحانه و تدبيره في كيفيّة ايجاد الأرض و دحوها على الماء و متضمّن لما أعدّ اللهّ للناس فيها من المنافع العظيمة و الفوائد الجسيمة.

(شَمَخَ الجَبَلُ: علا و ارتفع. لسان العرب: ٣/ ٣٠، مادة (شمخ). الباذخ: العالي و يجمع على بُذَّخ. المصدر نفسه: ٣/ ٧، مادة (بذخ). و عِرْنَينُ كل شيء: أَوَّله. المصدر نفسه: ١٣/ ٢٨١، مادة (عرن). السَّهْب، و هو الأَرضُ الواسِعةُ، و يُجمع على سُهُبٍ. المصدر نفسه: ١/ ٤٧٥، مادة (سهب). البَيْداءُ: الفلاة، والصحراء، وسميت بَيْداءَ لأَنها تُبيد سالكها، و الجمع بِيدٌ. المصدر نفسه: ٣/ ٩٧، مادة (بيد). الأُخدود: شق في الأَرض مستطيل. المصدر نفسه: ٣/ ١٦٠، مادة (خدد). الجُلْمود: الصخر. المصدر نفسه: ٣/ ١٢٩، مادة (جلمد). ذَوات الشَّناخِيبِ الصُّمِّ؛ هي رؤُوسُ الجبالِ العالية. المصدر نفسه: ١/ ٥٠٧، مادة (شنخب). جمع صَيْخود و هي الصخرة الشديدة. المصدر نفسه: ٣/ ٢٤٤، مادة (صخد). اديم الارض ظاهرها. المصدر نفسه: ١٢/ ٩٥ مادة (ادم). جُرْثُومة كل شيء أَصلُه و مُجْتَمَعُه، وهو ايضا التراب الذي تَسْفيه الريحُ. المصدر نفسه: ١٢/ ٨، مادة (جرثم)).

قوله «كَبَسَ الْأَرْضَ عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ» يعني أنه سبحانه بعد أن خلق الأرض غمسها في بحار هائجة مائجة، وقوله «و سكنت الأرض مدحوّة» مبسوطة «فى

لجّة تياره» أي أعماق موج البحر «و ردّت الماء من نخوة بأوه و اعتلائه» أي فخره و ترفعه «و شموخ انفه و سمّو غلوائه» أي تكبّره و علوّ غلوّه و هذه كلّها استعارات للماء في هيجانه و اضطرابه بملاحظة مشابهته بالانسان المتجبّر المتكبّر في حركاته و أفعاله و الغرض بيان سكون الأرض في الماء المتلاطم و منعها إيّاه من تموّجه و هيجانه «و كعمته على كظّة جريته» و المراد بكظّة الجرية ما يشاهد من الماء الكثير في جريانه من الثقل نحو ما يعتري المملي من الطعام، أو أراد به شدّة جريانه و طول ملازمته له، أو التعب العارض له من الجريان على سبيل الاستعارة تشبيها له بالانسان المتعب من كثرة المزاولة لفعل، «و حمل شواهق الجبال البذخ على اكتافها «استعار عليه السّلام لفظ الاكتاف للأرض لكونها محلا لحمل ما يثقل من الجبال كما أنّ كتف الانسان و غيره من الحيوان محلّ، لحمل الأثقال، «فجر ينابيع العيون من عرانين انوفها» من باب الاستعارة تشبيها للجبال بالانسان و لأعاليها و رؤوسها بعرنينه و أنفه، «و عدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها» المعنى أنه سبحانه عدل حركات الأرض بالجبال الثابته من صخورها و بـ «ذوات الشناخيب الشمّ من صياخيدها» أي بصاحبات الرؤوس المرتفعة من صخورها الصلبة «فسكنت «الأرض «من الميدان» و الاضطراب «برسوب الجبال فى قطع اديمها» أي دخولها في قطعات وجه الأرض و أعماقها «و تغلغلها متسربة في جوبات خياشيمها» أي دخولها نافذة فى حفرات انوف الأرض و فرجاتها «و ركوبها أعناق سهول الأرضين و جراثيمها» المراد بجراثيمها المواضع المرتفعة منها و مفاد هذه الفقرات أنّ الأرض كانت متحرّكة مضطربة قبل خلق الجبال فسكنت بها، و ظاهره أنّ لنفوذ الجبال فى أعماق الأرض و ظهورها و ارتفاعها عن الأرض كليهما مدخلا في سكونها. (ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٧/ ١٢- ١٣) ومن ذلك قوله من حديثه عن الأمانة: (.. فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا. إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَاوَاتِ الْمُبْنِيَّةِ، وَ الْأَرَضِينَ الْمُدْحُوَّةِ، وَ الْجِبَالِ ذَاتِ الطُّولِ الْمَنْصُوبَةِ، فَلَا أَطْوَلَ وَ لَا أَعْرَضَ، وَ لَا أَعْلَى وَ لَا أَعْظَمَ مِنْهَا، وَ لَوِ امْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لَامْتَنَعْنَ وَ لَكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ، وَ عَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ، وَهُوَ الْإِنْسَانُ، «إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا»). (نهج البلاغة: ٣١٧) في هذا النص ورد قوله: (الْأَرَضِينَ الْمُدْحُوَّةِ، الْجِبَالِ ذَاتِ الطُّولِ الْمَنْصُوبَةِ) ومن ذلك قوله عليه السلام: (وَ كَانَ مِنِ اقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ، وَ بَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ، أَنْ جَعَلَ... وَ أَرْسَى أَرْضاً يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ الْمُثْعَنْجِرُ، وَ الْقَمْقَامُ الْمُسَخَّرُ... وَ جَبَلَ جَلَامِيدَهَا، وَ نُشُوزَ مُتُونِهَا، وَ أَطْوَادِهَا، فَأَرْسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا، وَ أَلْزَمَهَا قَرَارَاتِهَا، فَمَضَتْ رُءُوسُهَا فِي الْهَوَاءِ، وَ رَسَتْ أُصُولُهَا فِي الْمَاءِ، فَأَنْهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا، وَ أَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَ مَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا، فَأَشْهَقَ قِلَالَهَا، وَ أَطَالَ أَنْشَازَهَا، وَ جَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِماداً، وَ أَرَّزَهَا فِيهَا أَوْتَاداً، فَسَكَنَتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا، أَوْ تَسِيخَ بِحِمْلِهَا، أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا. فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا، وَ أَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا، فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَاداً، وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً.. «إِنَّ

فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشى»).(نهج البلاغة: ٣٢٨) وردت في هذا النص الألفاظ (أَرْضاً)، (جَلَامِيدها)، (أَطْوَادِهَا)، (جِبَالَهَا)، (سُهُولِهَا)، (أَوْتَاداً).

قوله «وَ كَانَ مِنِ اقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ... أَرْسَى أَرْضاً يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ الْمُثْعَنْجِرُ» يدل على أن من دلائل عظمة الخالق واقتداره خلق الأرض بأن جعلها راسية على البحر، فاليابسة تمثل أقل من ثلث الكرة الأرضية والباقي بحار ومحيطات، «و جبل جلاميدها» أي خلق سبحانه صخور الأرض الصّلبة العظيمة «و نشوز متونها و أطوادها «أي مرتفعات صلبتها و جبالها «فأرساها في مراسيها «أي أثبت هذه الجلاميد و الأطواد في مواضعها المعيّنة الّتي اقتضت الحكمة الالهيّة إثباتها فيها «و ألزمها قرارتها «أي أمسكها حيث استقرّت «فمضت رؤوسها في الهواء و رست» أي رسبت و ثبتت «اصولها في الماء» الّذى بين أجزاء الأرض «فانهد جبالها عن سهولها «أي رفع جبال الأرض و أعلاها عن أراضيها المطمئنّة «و أساخ قواعدها في متون أقطارها» أي غيّب قواعد الجبال في جوانب أقطار الأرض «ومواضع انصابها» و أعلامها «فاشهق قلالها و أطال انشازها» أي جعل قلالها مرتفعة عالية و اطالة الأنشاز مؤكّدة لها كما قال تعالى ﴿وَ جَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ﴾ المرسلات/ ٢٧، «و جعلها» أي الجبال «للأرض عمادا « المراد به ما أوضحه بقوله «و أرزّها فيها أوتادا «أي أثبتها في الأرض فكانت بمنزلة الوتد لها تمنعها من الحركة و الاضطراب كالسّفينة إذا القى فيها جسم ثقيل. «فسكنت على حركتها» الّتى هى من شأنها لكونها محمولة على سائل متموّج أو على أثر حركتها يتموّج الماء «من أن تميد» و تضطرب «بأهلها» كما قال تعالى: ﴿وَ أَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾النحل/ ١٥. (ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٧١-٧٢).

تبين من النصوص أعلاه الاستعمال الدقيق لألفاظ الأرض ومتعلقاتها وهو يكشف عن معرفة عميقة بهذا المجال، في زمن لم تكتشف فيه خارطة قارات العالم بعد كما هو اليوم، فكيف تسنى لشخص عاش في صحراء الحجاز أن يتكلم بهذه المعارف وبهذه الدقة المتناهية. وعند التأمل في النصوص أعلاه نلاحظ أنها مسوقة لإظهار عظمة اللهّ تعالى و كمال قدرته و جلاله و جبروته من خلال عظمة خلقه و بديع صنعه في خلق الأرض و الجبال.

ثانيا: الطبيعة الحية

١. الحيوان

إنّ العلاقة بين الانسان والحيوانات قديمة على هذه الأرض، إذ لا غنى به عنها، فهي تغذيه بلبنها وتكسوه من صوفها ووبرها وتطعمه من لحمها، كما يبلغ بها أماكن لم يكن بالغها إلا بشق الانفس. والعرب كغيرهم من الأقوام الذين تعلقوا بالحيوانات فقربوها وعززوها ومنحوها رعايتهم وعطفهم، ولم تكن ظروفهم في جزيرتهم قادرة على أن يعيشوا بمعزل عنها (ينظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي: ٩٥)، لذا زخرت أعمالهم الإبداعية من شعر ونثر بالمعاني التي تعبر عن العلاقة الوطيدة بينهم.

و كان لألفاظ الحيوان حضور واضح في نهج البلاغة،

وقد استعملت على نحوين تارة يكون الحديث عن الحيوان وصفاته وعجائب خلقته، وأخرى يكون الحديث عن أمر آخر ويؤتى بلفظ الحيوان للبيان والايضاح، فيستعير لفظ الحيوان أو يشبه به أو غيرها من أساليب البيان.

أولا: وقد جاء النحو الأول من الاستعمال في قول الامام علي عليه السلام في وصف الطيور: (وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُوَرِ الْأَطْيَارِ الَّتِي أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ الْأَرْضِ، وَ خُرُوقَ فِجَاجِهَا وَ رَوَاسِيَ أَعْلَامِهَا، مِنْ ذَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَ هَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ، مُصَرَّفَةٍ فِي زِمَامِ التَّسْخِيرِ، وَ مُرَفْرِفَةٍ بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ الْجَوِّ الْمُنْفَسِحِ، وَ الْفَضَاءِ الْمُنْفَرِجِ، كَوَّنَهَا بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُوَرٍ ظَاهِرَةٍ، وَ رَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ، وَ مَنَعَ بَعْضَهَا بِعَبَالَةِ خَلْقِهِ أَنْ يَسْمُوَ فِي الْهَوَاءِ خُفُوفاً، وَ جَعَلَهُ يَدِفُّ دَفِيفاً، وَ نَسَقَهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا فِي الْأَصَابِيغِ بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ، وَ دَقِيقِ صَنْعَتِهِ). (نهج البلاغة: ٢٣٥) ورد في هذا النص الألفاظ: (الْأَطْيَارِ)، (ذَاتِ أَجْنِحَةٍ)، (هَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ)، (مُرَفْرِفَةٍ بِأَجْنِحَتِهَا)، (يَدِفُّ دَفِيفاً) ذكر الإمام في هذا النص من دلائل قدرته تعالى من اختلاف صور الطيور وأشكالها وأحجامها، فهي ذوات أجنحة مختلفة و هيئات متباينة، كما ذكر اختلاف مساكنها فهي على اختلاف أشكالها منها ما يسكن في شقوق الأرض ومنها ما يسكن في فجاجها و منها ما يسكن في الجبال.

ويكشف هذا النص عن معرفة دقيقة بأنواع الطيور، ودقائق خلقتها ومعيشتها، وهو أمر يدعو للعجب، لاسيما أن تلك التفاصيل الدقيقة ذكرت في زمان لم يتيسر للانسان فيه أن يطلع على أنواع الطيور بشكل يجعله يتكلم عليها بهذه الدقة.

ومن ذلك قوله عليه السلام: (فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ أَحْصَى عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا وَ النَّفَسِ، وَ أَرْسَى قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدَى وَ الْيَبَسِ وَ قَدَّرَ أَقْوَاتَهَا، وَ أَحْصَى أَجْنَاسَهَا. فَهَذَا غُرَابٌ وَ هَذَا عُقَابٌ. وَ هَذَا حَمَامٌ وَ هَذَا نَعَامٌ، دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ، وَ كَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ). (المصدر نفسه: ٢٧١) يلاحظ في هذا النص الألفاظ: (الطَّيْر)، (الرِّيشِ)، (غُرَابٌ)،(عقَابٌ)،(حَمَامٌ)، (نَعَامٌ)، (طَائِرٍ).

ومن ذلك قوله عليه السلام في وصف الطاووس: (وَ مِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً الطَّاوُسُ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ، وَ نَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ، وَ ذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ. إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ، وَ سَمَا بِهِ مُطِلًّا عَلَى رَأْسِهِ.....).(المصدر نفسه: ٢٣٦) ومن ذلك كلامه عليه السلام في وصف الخفاش قال: (وَ مِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ، وَ عَجَائِبِ خِلْقَتِهِ، مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِي هَذِهِ الْخَفَافِيشِ الَّتِي يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَ يَبْسُطُهَا الظَّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ وَ كَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُوراً تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا،....).(المصدر نفسه: ٢١٧) ومن ذلك قوله عليه السلام في وصف النملة: (أَ لَا يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ، كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ، وَ أَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ، وَ فَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ، وَ سَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَ الْبَشَرَ انْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا، وَ لَطَافَةِ هَيْئَتِهَا لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ، وَ لَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكَرِ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا، وَ صُبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا، تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا، وَ تُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا...).(المصدر نفسه: ٢٧٠) ومن ذلك قوله عليه السلام في وصف الجرادة: (وَ إِنْ شِئْتَ

قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ، إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ، وَ أَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ، وَ جَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ، وَ فَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ، وَ جَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ، وَ نَابَيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ، وَ مِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ...). (المصدر نفسه: ٢٧١).

ثانياً: أما النحو الثاني من استعمال ألفاظ الحيوان فقد جاء في قول الإمام علي﵇: (فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَ النَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ وَ شُقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَى وَ قَسَطَ آخَرُونَ). (المصدر نفسه: ٤٩) وردت في هذا النص الألفاظ: (عُرْفِ الضَّبُعِ)، (رَبِيضَةِ الْغَنَمِ).

في قوله «فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَ النَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ» استعمل الإمام عنصر التشبيه لإيصال المعنى الى المتلقي، وقد اختار شيئا متوفّرا في محيطه وتأنس له نفس السامع في زمانه من أجل إتاحة الفرصة له لعقد المقارنة وإدراك المعنى، فقد استعان الامام بـ (عُرف الضَّبُع) في تشبيه ازدحام الناس عليه وتحلّقهم حوله من كلّ صوب، بهدف تنصيبه خليفة لهم، وعرف الضّبع: ما كثر على عنق هذا الحيوان من الشعر.(ينظر: لسان العرب: ٩/ ٢٤١، مادة (عرف).) وهكذا الأمر في قوله «مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ» فقد شبه اجتماع الناس حوله وازدحامهم عليه وجثومهم بين يديه بربيضة الغنم، وهي المجموعة من الغنم التي أقامَت بالمكان مُلازمةً له.ينظر: المصدر نفسه: ٧/ ١٥١، مادة (ربض).

ومن ذلك قوله﵇: (لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَ قِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ، أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَ لَا سَغَبِ مَظْلُومٍ، لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَ لَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا وَ لَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ). (نهج البلاغة: ٤٩) نلاحظ في النص ورود لفظة (عفطة عنز).

ومن ذلك قوله﵇ (لَنَا حَقٌّ فَإِنْ أُعْطِينَاهُ وَ إِلَّا رَكِبْنَا أَعْجَازَ الْإِبِلِ وَ إِنْ طَالَ السُّرَى). (المصدر نفسه: ٤٧٢). في النص لفظة (أَعْجَازَ الْإِبِلِ).

قوله «رَكِبْنَا أَعْجَازَ الْإِبِلِ» إشارة لتقدم غيره عليه وصبره عن حقه.

ومن ذلك قوله﵇ (فَوَ اللَّهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً وَ لَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً، وَ لَا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً، وَ لَا حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْراً، وَ لَا أَخَذْتُ مِنْهُ إِلَّا كَقُوتِ أَتَانٍ دَبِرَةٍ).(المصدر نفسه: ٢١٧) ورد في هذا النص لفظة (أَتَانٍ دَبِرَةٍ).

في قوله «فَوَ اللَّهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً ... وَ لَا أَخَذْتُ مِنْهُ إِلَّا كَقُوتِ أَتَانٍ دَبِرَةٍ» استعمل الامام التشبيه ليبين زهده في هذه الدنيا وفي ملذاتها، فقد شبه ما يأخذه منها بقوت أتانٍ دَبِرة، و هي «التي عقر ظهرها فقل أكلها».(شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد: ١٦/ ٢٠٧) ومن ذلك قوله﵇ (وَ لَقَدْ كَانَ صلى الله عليه وآله يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ وَ يَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ وَ يَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَ يَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ وَ يَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ وَ يُرْدِفُ خَلْفَه). (نهج البلاغة: ٢٢٧) جاء في هذا النص لفظة (الْحِمَار).

قوله «يَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ وَ يُرْدِفُ خَلْفَه «يدل على التواضع و هضم النفس، و إرداف غيره خلفه آكد في الدّلالة عليه.

ومن ذلك قوله عليه السلام: (وَ فَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ، يَرِدُونَهُ وُرُودَ الْأَنْعَامِ وَيَأْهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الْحَمَامِ، وَ جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِه). (المصدر نفسه: ٤٥) ورد في هذا النص اللفظتان (الْأَنْعَامِ)، (الْحَمَامِ).

و قوله «يَرِدُونَهُ وُرُودَ الْأَنْعَامِ «شبّه ورود الناس البيت الحرام بورود الأنعام، فالناس يردون البيت بكثرة عن حرص و شوق إليه كحال الأنعام عند ورودها الماء. وقوله «وَ يَأْهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الْحَمَامِ» شبه شوق الحجاج وحنينهم الى البيت الحرام بشوق الحمام الى مسكنها.

ومن ذلك قوله عليه السلام: (صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَاكِبِ الْأَسَدِ يُغْبَطُ بِمَوْقِعِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَوْضِعِهِ). (المصدر نفسه: ٥٢١) ورد في هذا النص لفظة (الْأَسَدِ).

قوله «صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَاكِبِ الْأَسَدِ» شبه العامل مع السلطان أو الحاكم براكب الأسد، الذي تهابه الناس، و تعجب من شجاعته، و هو أشد منهم هيبة و رعبا من غضب الأسد و الفتك به على حين غفلة.

ومن ذلك قوله عليه السلام: (مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا وَ السَّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا، يَهْوِي إِلَيْهَا الْغِرُّ الْجَاهِلُ وَ يَحْذَرُهَا ذُو اللُّبِّ الْعَاقِلُ).(المصدر نفسه: ٤٨٩) جاء في هذا النص لفظة (الْحَيَّةِ).

قوله «مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ» تشبيه تمثيلي للدنيا بالحية، إذ إنّ الدنيا جميلة في عين الناظر إليها، تغره بزينتها، ويخفى عليه ما ينتظره من الشقاء الاخروي بسبب الاقبال عليها، فيهوى إليها الجاهل بما فيها من سوء العاقبة و يحذرها العاقل العارف بها كما أنّ الحيّة ليّن مسّها حسن منظرها، يهوي إليها الجاهل بما فيها من سمّ و يحذرها العارف بحقيقتها.

ومن ذلك قوله عليه السلام: (فَلَمَّا أَمْكَنَتْكَ الشِّدَّةُ فِي خِيَانَةِ الْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ الْكَرَّةَ، وَ عَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ وَ اخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ، الْمَصُونَةِ لِأَرَامِلِهِمْ وَ أَيْتَامِهِمُ، اخْتِطَافَ الذِّئْبِ الْأَزَلِّ دَامِيَةَ الْمِعْزَى الْكَسِيرَة). (المصدر نفسه: ٤١٢) ورد في هذا النص اللفظتان (الذِّئْبِ)، (الْمِعْزَى).

في هذا النص شبّه اختطاف الخائن لأموال الأرامل والأيتام باختطاف الذئب الأزلّ دامية المعزى الكسيرة، و وجه الشبه سرعة أخذه له و خفّته له في ذلك، و خصّ الذئب الأزل؛ لأنّ خفّة الوركين يعينه على سرعة الوثبة و الاختطاف، و دامية المعزى الكسيرة لأنّها أمكن للاختطاف لعدم الممانعة. (ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن ميثم: ٥/ ٩٢)
ومن ذلك قوله عليه السلام: (لَأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهَشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُوماً وَ تَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً، وَلَأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ مَعِينُهَا، مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا، أَتَمْتَلِئُ السَّائِمَةُ مِنْ رِعْيِهَا فَتَبْرُكَ، وَ تَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ، وَ يَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَع). (نهج البلاغة: ٤١٨) ورد في هذا النص اللفظتان (السَّائِمَةُ)، (الرَّبِيضَةُ).

(السائمةُ: الإبل الراعية. المصدر نفسه: ١٢/

٣١٠، (سام). الرَّبِيضُ: الغنم في مرابِضِها. المصدر نفسه: ٧/ ١٤٩، (ربض)).

٢. النبات

ارتبطت النباتات بحياة العرب قديماً، فهي تدخل فيما يأكلون وما يبنون وما يصنعون من أدوات، فلا عجب إذا وجدنا لها حضورا في أعمالهم الابداعية، ولكنه قليل إذا ما قورن بألفاظ أخرى كالحيوان مثلاً ، وبخاصة إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار البيئة الصحراوية لعموم الجزيرة العربية وانعكاس ذلك على التفكير والأداء الفني. ولهذا السبب يرجع قلة ألفاظ النبات الواردة في نهج البلاغة. والملاحظ أن الإمام علي عليه السلام وظف ألفاظ النبات لضرب المثل والعبرة، وسوق الحكمة فكانت تلك الألفاظ ومدلولاتها وسيلة ناجعةٌ للتأثير في مستمعيه وتقريب المعنى الى أذهانهم.

ومن ذلك قول الامام عليه السلام (لَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ ... فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ، وَ النَّبَاتِ وَ الشَّجَرِ، وَ الْمَاءِ وَ الْحَجَرِ،... فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدِّرَ، وَ جَحَدَ الْمُدَبِّرَ). (نهج البلاغة: ٢٧١) فقد وردت الألفاظ (النَّخْلَةِ)، (النَّبَاتِ)، (الشَّجَر).

قوله» و لو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته» أي أجتهد فكرك باستقصاء الأدلّة لتصل إلى غايات الفكر في الموجودات «ما دلّتك الدلالة» أي لم يدلّك الدّليل «إلّا على أنّ فاطر النملة» على صغرها «هو فاطر النخلة» على طولها و عظمتها، يعني أنّ خالقهما واحد.... وقوله» فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ، وَالنَّبَاتِ وَ الشَّجَرِ» فالمراد بها الأمر بالتدبّر فيما أودع في هذه الأشياء من غرائب الصنعة و لطائف الحكمة و براهين القدرة و العظمة. (ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١١ / ٢٣).

ومن ذلك قوله عليه السلام: (وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتاً، و كُلُّ نَبَاتٍ لَا غِنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ، وَالْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ فَمَا طَابَ سَقْيُهُ طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَتْ ثَمَرَتُهُ، وَمَا خَبُثَ سَقْيُهُ خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ). (نهج البلاغة: ٢١٥)جاء في النص الألفاظ (سَقْيُهُ)، (نَبَاتٍ)، (نَبَاتا)، (غَرْسُهُ)، (ثَمَرَتُهُ).

قوله «و اعلم أنّ لكلّ عمل نباتاً» استعار لفظ النّبات لزيادة الأعمال و نموّها و رشّح الاستعارة بذكر الماء، فكما أنّ النّباتات مختلفة من حيث طيبها و نضارتها و خضرتها و حسنها و ثبات أصلها في الأرض و رسوخ عروقها و ارتفاع فروعها و حلاوة ثمراتها و من حيث كونها على خلاف ذلك، فكذلك الأعمال و إلى ذلك أشار بقوله «و كلّ نبات لا غنى به عن الماء» و كذلك كلّ عمل لا غنى به عن النيّة و عن توجّه القلب اليه و هو مادّة حصوله «و المياه مختلفة» هذا عذب فرات سائغ شرابه و هذا ملح اجاج، و النيّات أيضا مختلفة بعضها صادرة عن وجه الخلوص و التقرّب إلى الحضرة الرّبوبيّة، و بعضها عن وجه الشّرك و الرّياء و السّمعة «فما طاب سقيه» أي نصيبه من الماء لكونه عذبا صافيا «طاب غرسه» و ثبت أصله و ارتفع فرعه و كان له خضرة و نضرة «و حلت ثمرته» و كذلك العمل الصّادر عن وجه الخلوص و التقرّب إلى الحقّ يعلو و يزكو و يثمر ثمرات طيبة، «و ما خبث سقيه» لكون مائه ملحا اجاجا أو كدرا فاسدا «خبث غرسه» لا يكون له رونق و بهاء و

لا لأصله ثبات و لفرعه ارتفاع «و أمرّت ثمرته» و هكذا العمل المشوب بالشّرك و الرّيا يثمر ثمرات خبيثة. (ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٩/ ٢٤٩-٢٥٠)

ومن ذلك قولهعليه السلام (وَاللهَّ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللهَّ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ). (نهج البلاغة: ٢١٧) يلاحظ في النص لفظة (حَسَكِ السَّعْدَانِ) (الحَسَكُ: نبات له ثمرة خشنة تَعْلَقُ بأَصواف الغنم، و قال أَبو حنيفة: هي عُشْبة تضرب على الصفرة و لها شوك يسمى الحَسَك أَيضاً مُدَحْرَجٌ، لا يكاد أَحد يمشي عليه إِذا يبس إِلَّا مَنْ في رجليه خُفّ أَو نعل. ينظر: لسان العرب:١٠/ ٤١١، مادة (حسك). السُّهْدُ و السُّهادُ نَقيضُ الرُّقاد و سَهِدَ، بالكسر، يَسْهَدُ سَهَداً و سُهْداً و سُهاداً: لم يَنَمْ. و فلان يُسَهَّدُ أَي لا يُتْرَكُ أَن ينام. لسان العرب:٣/ ٢٢٤، مادة (سهد)).

تظهر في النص عدالة الامام عليعليه السلام الذي يفضل أن يبيت على نبات حسك السعدان وهو مفارق للنوم؛ لأن هذا النبات معروف بأشواكه المؤلمة على أن يقترف ظلما لبعض العباد.

ومن ذلك قولهعليه السلام: (وَ اللهَّ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وَ قَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً وَ رَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ غُبْرَ الْأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ، كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ، وَ عَاوَدَنِي مُؤَكِّداً وَ كَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي، وَ أَتَّبِعُ قِيَادَهُ مُفَارِقاً طَرِيقَتِي، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا وَ كَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِها). (نهج البلاغة: ٣٤٦) وردت في النص اللفظتان (بُرِّكُمْ)، (الْعِظْلِمِ).

(العِظْلِمُ: عُصارةُ بعضِ الشجرِ. وهو نبت يصبغ به ما يراد اسوداده ينظر: لسان العرب:١٢/ ٤١٢، مادة (عظلم)).

في هذا النص يستعين الإمام بنبات العظلم ليبين حالة صبيان عقيل الذين أخذ الجوع مأخذه منهم فاسودت وجوههم كالذين سودت وجوههم بالعظلم. وقد جاءه أبوهم وهو اخوه لا يطمع في شيء سوى صاعا واحدا من الحنطة، بيد أن عدالة علي تأبى إلا ان يساوي بين أخيه وبين بقية رعيته.

ومن ذلك قولهعليه السلام في صفة الجنة: (فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَ لَذَّاتِهَا وَ زَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا وَ لَذَهِلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا وَ فِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَ أَفْنَانِهَا وَ طُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ فَتَأْتِي عَلَى مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا وَ يُطَافُ عَلَى نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا).(المصدر نفسه: ٢٣٩) فقد وردت في النص الألفاظ (أَشْجَار)، (عُرُوقُهَا)، (عَسَالِيجِهَا)، (أَفْنَانِهَ)، (الثِّمَار)، (غُلُفِ أَكْمَامِهَا).

في هذا النص يبين الإمام روعة المشاهد في الجنة بالاستعانة بألفاظ النباتات وما يتعلق بها فيذكر الاشجار

وعروقها التي غرست في المسك بدلا من الرمل، ويذكر العساليج والأفنان وهي الاغصان، (ينظر: لسان العرب: ٢/ ٣٢٤، ومادة (عسلج)، و ١٣/ ٣٢٦ مادة (فنن))، ويذكر الثمار وطلوعها مختلفة حينما تخرج من غلف أكمامها، ويمكن أن يكون المراد من اختلافها اختلاف هيآتها وطعومها، ويمكن أن يكون اختلاف أصنافها فالشجرة الواحدة تخرج اصنافا مختلفة، وهي تجنى برغبة مجتنيها لا يتكلف جهدا في جنيها.

ومن ذلك قوله عليه السلام في صفة رسول اللهّ و آل بيته: (حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللهَّ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً وَ أَعَزِّ الْأَرُومَاتِ مَغْرِساً مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ وَانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الْأُسَرِ وَ شَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ وَثَمَرٌ لَا يُنَالُ فَهُوَ إِمَامُ مَنِ اتَّقَى وَبَصِيرَةُ مَنِ اهْتَدَى). (نهج البلاغة: ١٣٩) في هذا النص جاءت الألفاظ (مَنْبِتاً)، (مَغْرِساً)، (الشَّجَرَةِ)، (شَجَرَتُهُ)، (الشَّجَرِ)، (نَبَتَتْ)، (فُرُوعٌ)،(ثَمَر).

ومن ذلك قوله عليه السلام (وَ إِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللهَّ حَيْثُ يَقُولُ رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ وَ اللهَّ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْزاً يَأْكُلُهُ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ وَ لَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ لِهُزَالِهِ وَ تَشَذُّبِ لَحْمِهِ وَ إِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ وَ قَارِئِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ وَ يَقُولُ لِجُلَسَائِهِ أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا وَ يَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا وَ إِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ع فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ وَ يَلْبَسُ الْخَشِنَ وَ يَأْكُلُ الْجَشِبَ وَ كَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ وَ سِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ وَ ظِلَالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغَارِبَهَا وَ فَاكِهَتُهُ وَ رَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ.(المصدر نفسه: ٢٢٧)فقد وردت في النص الألفاظ (بَقْلَةَ الْأَرْضِ)، (خُضْرَةُ الْبَقْلِ)، (سَفَائِفَ الْخُوصِ)، (قُرْصَ الشَّعِيرِ)، (فَاكِهَتُهُ وَ رَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ).

ومن ذلك قوله عليه السلام) وَ سَيَنْتَقِمُ اللهَّ مِمَّنْ ظَلَمَ مَأْكَلًا بِمَأْكَلٍ وَ مَشْرَباً بِمَشْرَبٍ مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلْقَمِ وَ مَشَارِبِ الصَّبِرِ). (المصدر نفسه: ٢٢٣) جاء في النص الألفاظ (الْعَلْقَمِ)، (الصَّبِرِ).

الخاتمة

١ .استعمل الامام لفظ الهواء والرياح للدلالة على قدرة الله تعالى وعظيم صنعه، وهي دعوة منه عليه السلام للتدبر والتفكر في بديع خلقه تعالى وعظيم صنعه.

٢ .استعمل الإمام عليه السلام ألفاظ الماء و متعلقاته ووظفها بشكل فني بديع، فكان الكلام كله مشحوناً باستعارات جميلة على ألطف وجه و أرشق عبارة و أدق معنى. وقد وظف الامام عليه السلام هذه الألفاظ ليثير في ذهن المتلقي ما يدعو الى العجب، فينزه الله تعالى عن شبه المخلوقين، ويبين قدرته القاهرة الغالبة و دقة صنعه التي ينفرد بها.

٣.استعمل الإمام عليه السلام ألفاظ السماء ومتعلقاتها من كواكب ونجوم والشمس والقمر وقد جاء بها لبيان قدرة الله تعالى وجميل صنعه.

٤. استعمل الإمام علي ألفاظ الأرض ومتعلقاتها من الجبال والصحارى والوديان مستفيدا مما تحمله من ايحاءات في ذهن المتلقي ليعبر عن فلسفته حول الحياة والعالم. وقد ساقها لإظهار عظمة اللهّ تعالى و كمال قدرته.

٥. استعمل الإمام ألفاظ الحيوان في نهج البلاغة، على نحوين الأول الحديث عن الحيوان وصفاته وعجائب خلقته، والثاني الحديث عن أمر آخر ويؤتى بلفظ الحيوان للبيان والايضاح، فيستعير لفظ الحيوان أو يشبه به أو غيرها من أساليب البيان.

٦. وظف الإمام علي عليه السلام ألفاظ النبات لأخذ العبرة وسوق الحكمة وإظهار عجيب خلق الله تعالى وفضله على الإنسان، فكانت أداة ناجعةٌ للتأثير في المتلقي وتقريب المعنى الى الذهن.

فهرست المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الأساس في فقه اللغة وأرومتها: هادي نهر، دار الفكر – عمّان، ط١، ٢٠٠٢م.

٢. أصول تراثية في علم اللغة: د. كريم زكي حسام الدين، مكتبة الانجلو المصرية– القاهرة، ١٩٨٥.

٣. اصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية: احمد عزوز، اتحاد الكتاب العرب، د.ت.

٤. الألسنية العربية: ريمون طحان، دار الكتاب اللبناني– بيروت، ط١، ١٩٧٢م.

٥. ألفاظ الطبيعة في ديوان كثير عزة دراسة لغوية: سلمان ياسين عباس، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية – كلية التربية الاساسية، ٢٠١٢م.

٦. شرح نهج البلاغة: ابن ابى الحديد المعتزلي، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي العامة – قم، ط١، ١٣٧٨ هـ.

٧. شعر المرقشين دراسة أسلوبية: خيرات حمد فلاح الرشود، جامعة اهل البيت، كلية الآداب والعلوم الانسانية. رسالة ماجستير غير منشورة. الأردن.

٨. الشعرية العربية: جمال الدين ابن الشيخ، ترجمة مبارك حنون وآخرين، دار توبيقال للنشر– المغرب ط١ ١٩٩٦م..

٩. الطبيعة في الشعر الجاهلي: د. نوري حمودي القيسي، دار الإرشاد – بيروت، ط١، ١٩٧٠م.

١٠. الطبيعة وما بعد الطبيعة المادة – الحياة – الله: يوسف كرم، كلمات عربية للترجمة والنشر– القاهرة، د. ت.

١١. العربية وعلم اللغة الحديث: د. محمد محمد داوود، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع– القاهرة، ٢٠٠١م.

١٢. علم الدلالة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب – القاهرة، ط٥ ١٩٩٨م.

١٣. فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية مقارنة للكلمات العربية: محمد المبارك، دار الفكر– بيروت، ط٣، ١٩٦٨م.

١٤. في علم الدلالة: محمد سعد، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٧م.

١٥. في ظلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين – بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ.

١٦. الكلمة دراسة في اللسانيات المقارنة: محمد الهادي عياد، مركز النشر الجامعي، دار سحر – تونس ٢٠١٠م.
١٧. لسان العرب: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم المصري:، دار صادر، بيروت – لبنان، ١٩٥٥م.
١٨. اللسانيات النشأة والتطور: أحمد مؤمن، ديوان المطبوعات الجامعية، ط٣، ٢٠٠٧م.
١٩. اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية: عبد القادر الفاسي الفهري، منشورات دار الشؤون الثقافية العامة– بغداد، د.ت.
٢٠. اللغة: فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، مطبعة لجنة البيان العربي – مصر، د. ت.
٢١. مباحث في اللسانيات: أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.
٢٢. مبادئ اللسانيات: أحمد محمد قدور، دار الفكر – دمشق، ط١ ١٩٩٦م.
٢٣. مبادئ في اللسانيات: خولة طالب الابراهيمي، الجزائر، دار القصبة ٢٠٠٠م
٢٤. المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي: د. عز الدين إسماعيل، دار غريب للطباعة – القاهرة، د.ت.
٢٥. المعجم الفلسفي: د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني – بيروت، ١٩٨٢م.
٢٦. معجم المصطلحات اللغوية والصوتية (إنكليزي عربي): خليل إبراهيم حماش، منشورات تطوير مدرسي اللغة الإنكليزية في العراق، بغداد، ١٩٨٢م.
٢٧. نظرية الاكتمال اللغوي عند العرب فهم شامل لتعليم اللغة العربية: أحمد طاهر حسنين، منشورات هجر– القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.
٢٨. نهج البلاغة: الشريف الرضي، تحقيق صبحى الصالح: موسسة دار الهجرة – قم، د.ت.

المجلات والدوريات

١. الحقول الدلالية في الحماسة الشجرية، دراسة اسلوبية: د. عبد الفتاح داود، مجلة الجامعة الاسلامية للدراسات الانسانية، مجلد ٢٦، ع ١، ٢٠١٨م .
٢. معجم الحقول الدلالية في قصيدة «في أذن الشرق» للشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة: عمر بن زيادي، مجلة عود الند، مجلة ثقافية فصلية، ع ٨٥، ٢٠١٣م.
٣. نظرية الحقول الدلالية بين التراث العربي والفكر اللساني المعاصر: باديس لوهميل، مجلة الممارسات اللغوية، ٢٠١٤م.
٤. نظرية الحقول الدلالية والمعاجم المعنوية عند العرب: د. محمود جاد الرب، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد ٧١، ١٩٩٢م.
٥. نظرية الحقول الدلالية: عمار شلواي، مجلة العلوم الانسانية. جامعة محمد خضير بسكرة. العدد الثاني.